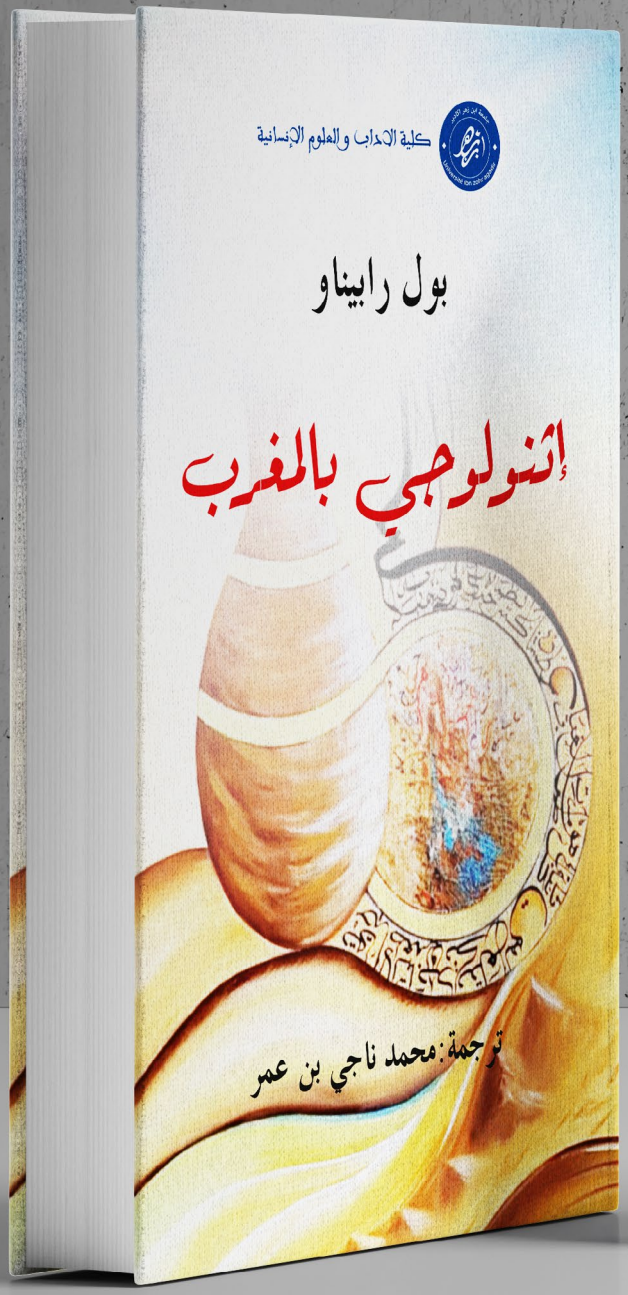
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
بول رابيناو
إثنولوجي بالمغرب
ترجمة: محمد ناجي بن عمر

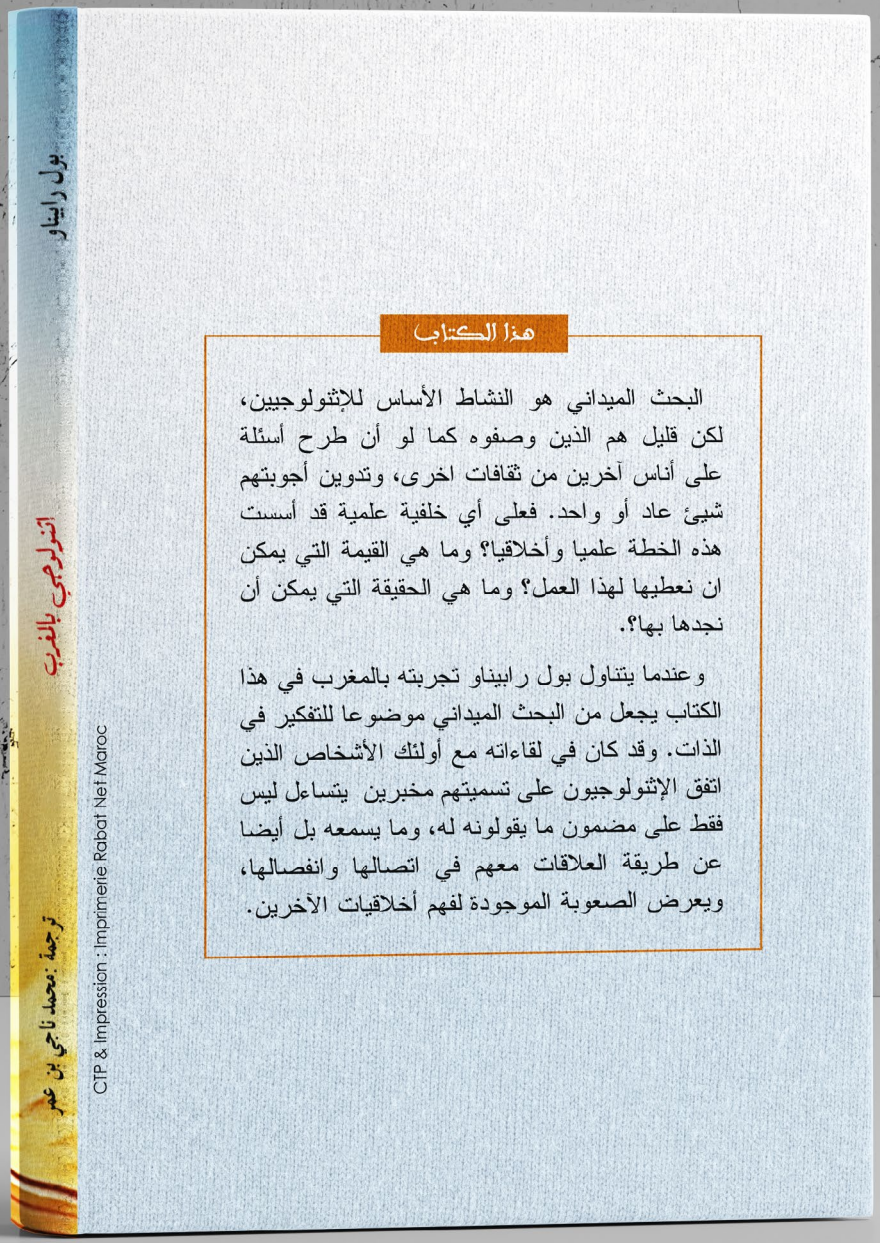
بول رابيناو
إثنولوجي بالمغرب
ترجمة: محمد ناجي بن عمر
هذا الكتاب
البحث الميداني هو النشاط الأساس للإثنولوجيين، لكن قليل هم الذين وصفوه كما لو أن طرح أسئلة على أناس آخرين من ثقافات اخرى، وتدوين أجوبتهم شيئ عاد أو واحد. فعلى أي خلفية علمية قد أسست هذه الخطة علميا وأخلاقيا؟ وما هي القيمة التي يمكن ان نعطيها لهذا العمل؟ وما هي الحقيقة التي يمكن أن نجدها بها؟.
وعندما يتناول بول رابيناو تجربته بالمغرب في هذا الكتاب يجعل من البحث الميداني موضوعا للتفكير في الذات. وقد كان في لقاءاته مع أولئك الأشخاص الذين اتفق الإثنولوجيون على تسميتهم مخبرين يتساءل ليس فقط على مضمون ما يقولونه له، وما يسمعه بل أيضا عن طريقة العلاقات معهم في اتصالها وانفصالها، ويعرض الصعوبة الموجودة لفهم أخلاقيات الآخرين.
CTP & Impression : Imprimerie Rabat Net Maroc

بول رابيناو

# إثنولوجي بالمغرب

ترجمة :محمد ناجي بن عمر

**الكتاب** : إثنولوجي بالمغرب

**المؤلف** : بول رابيناو

**ترجمة**: محمد ناجي بن عمر

**النشر** : كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر

**لوحة الغلاف**: سناء أمغار

**الإيداع القانوني** : 2021MO0593

**ردمـــــك** :978-9920-9498-7-3

مطابع الرباط نت

Imprimerie RABAT NET

Av. Hassan II Cité Al Manar n° 6/3 - Rabat
05 37 20 46 32 - 06 61 20 37 76
imprimerierabatnet@gmail.com
www.imprimerierabat.com

# تمهيد

لم أعتقد في يوم من الأيام أنني سأترجم عملا خارج المشروع الذي اشتغل عليه منذ مدة طويلة، وأصدرت فيه عدة اعمال[1]=انصبت كلها عن الكتابات الغربية عن المغرب في فترات محورية من تاريخه من زوايا ومقاربات مختلفة. لكن لما وافاني الزميل الدكتور إبراهيم لاباري بنسخة من هذا الكتاب في إحدى الأمسيات طالبا مني قراءته، والنظر في إمكانية ترجمته لطلبتنا بغاية سد الخصاص في مجال الإثنولوجيا، قبلت، ووعدته بأن اقوم بذلك إن سمح الوقت وجمزت نفسي معرفيا لخوض غمار هذه التجربة خاصة أنه موضوع جديد علي. فمكثت قرابة سنة

[1]- زمن لمحلات السلطانية:الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين: 1860-1912م؛ للويس أرنو، أفريقيا الشرق، 2001.

ـ مراكش، قبائل الشاوية ودكالة والرحامنة سنتي: 1901-1902م؛ لإدموند دوتي، تقديم الدكتور محمد المازوني، أنفو- بْرانت، فاس، 2010( طبع هذا الكتاب بدعم من المركز الوطني للبحث العلمي والتقنيCNRST).

ـ الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر؛ لإدموند دوتي، أفريقيا الشرق، 2014. ( طبع هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة)

ـ رحلة إلى المغرب 1910-1911م خلال مسالك الشاوية وسوس والحوز وفاس. رينولد لادريت دو لاشارير، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 2016.

ـ الحياة الاجتماعية والسياسية للبربر، لروبيرت مونطاني، أفريقيا الشرق 2014 (طبع هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة).

-رائحة البارود، الرائد كورني، رائحة البارودفي طريق احتلال الجنوب المغربيمع طابور مانجان 1912-1913، منشورات الزمن، 2017.

ـ في قلب الأطلس، بعثة إلى المغرب (1904-1905)؛ للمركيز دو سيكونزاك.(قيد الطبع)

ونصف وأنا أطالع بعض الأعمال في الموضوع حتى أدخل غمار هذه الترجمة وأنا جاهز نظريا بعض الشيئ.

بدأت العمل بمحاولة معرفة السياق العام الذي ألف فيه الكتاب بعد أن تعرفت صاحبه رابيناو، وراسلته من أجل أن يوافق على ان أترجم عمله إلى العربية، فقبل، وكنت سعيدا جدا بهذه الموافقة.

ولما قرأت الكتاب لأول مرة وجدته قد كتب في سياق خاص، فهو كتاب مواز لعمل علمي ميداني أنجزه صاحبه في بعثة علمية سنة 1968 تحت إشراف أستاذه كليفورد گيرتز، وحرره بعد خمس سنوات، أي بعد أخذ مسافة بين زمن الدراسة وزمن الكتابة، ومنح بعض الوقت للتأمل، والتنقيح، وإعادة التركيب . وازددت اهتماما بالكتاب لما علمت أنه ترجم إلى الإسبانية واليابانية.

وقعت أحداث الكتاب في أجواء خاصة ثقافيا، وعلميا، وسياسيا، بعد أحداث باريس سنة 1968 وما خلفته من تغيرات هامة في أوروبا، وجنوب البحر الأبيض المتوسط عموما، والمغرب خصوصا، إضافة إلى التحول الذي عرفه البحث السوسيولوجي في المغرب من الانتقال من الاهتمام بالسوسيولوجيا القروية وهوم المجال الواسع الذي اهتمت به عموما الكتابات " الكولونيالية" إلى العناية بالسوسيولوجيا الحضرية. بل أصبحت فرعا من فروع علم الاجتماع في أوائل القرن العشرين، وكانت صالحة لدراسة التحولات التي بدأ يعرفها المغرب فجر الاستقلال عشية الانتقال من البوادي إلى الحواضر.

ينتمي مؤلف الكتاب إلى مدرسة شيكاغو[1]، وهي مدرسة احتضنتها جامعة شيكاغو في نهاية القرن التاسع عشر، وتعتبر رائدة في كل مجالات العلم والمعرفة خاصة في حقل الأنتربولوجيا باعتبار تركيزها على البحث ميداني من أجل رصد مختلف التحولات الديمغرافية، والاقتصادية، والاجتماعية لمدينة ما. ومكنت علم الاجتماع من الانتقال من الملاحظة الظاهرية للظواهر والوقائع إلى دراستها من زاوية "علمية" مستندة إلى نتائج البحث الميداني.

وتعود أصول هذه المدرسة، من الناحية المعرفية، إلى نتائج أعمال دوركهاييم، وماكس فيبر، وجورج زيمل(1858-1918) وفي شق من أعمال كارل ماركس خاصة في نصوصه، التي يتحدث فيها عن العلاقات التاريخية بين المدينة والقرية. ولم تكن هذه المدرسة تشكل فكرا موحدا، بل ظلت تعرف اختلافات بين اجتهادات الباحثين المنضوين تحت لوائها. لكنها تنطلق في عمومها من دراسة وجهة نظر الفاعل الاجتماعي، ودراسة أفعال الأفراد، وممارساتهم، وعلاقة الأفراد بالواقع المحيط بهم، ومحاولة فهم المعاني التي يعطيها هؤلاء الأفراد للواقع، وتستثمر بشكل واضح المنهج السوسيولوجي الكيفي القائم على استغلال الوثائق الشخصية، والسير الذاتية، والمذكرات، ودراسة الحالات من خلال الملاحظة المباشرة، والمشاركة، والمقابلة والشهادة.

2- من أهم الأعمال المغربية التي كتبت عن مدرسة شيكاغو، كتاب :" مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة" للدكتور عبد الرحمان المالكي، والصادر عن دار أفريقيا الشرق سنة 2016.

ونجد صدى هذا الاهتمام، وأثر هذا التوجه في الكتاب الذي بين أيدينا. لا يجب أن يغيب عن البال أن رابينو قد أصدر هذا العمل الميداني سنة 1977، وهو جهد أكاديمي لم يترجم بعد إلى اللغة العربية على الرغم من أهميته.[1]

كان المؤلف واضحا في بسط مرجعيته باعتباره منخرطا في مشروع المدرسة متحررا من قيود النظريات، والتخصصات القديمة، ومتأثرا بأعمال كل من كان جاك لاكان؟ وليفي ستراوس، وبول ريكور، في علاقة بالمنهج التأويلي، وتأثره الفينومينولوجيا، وتصوره الواضح للإثنولوجيا باعتبارها تخرجه من جدران المدرجات إلى عالم الميدان، وأسراره وخباياه. ولعل هذا ما أثار اهتمام بيير بورديو وحفزه ليقدم له بتصدير هام ومركز.

واللافت للانتباه في هذا العمل أن المؤلف يكتب بمنطق العارف بخبايا المسألة الجوهرية القائم عليها جهد الاشتغال ككل، وهي علاقة الإثنولوجي بِمُخْبِرِه خاصة عندما يتواطآن معا في تفسير الوقائع والأحداث وتأويلها، وكيف أن مصير الإثنولوجيا رهين بفهم علاقة الباحث الإثنولوجي بالمُخْبِرِ الذي غالبا ما يكون براغماتيا وباحثا عن المال، وكيف يجب على الإثنولوجي أن يصطبر على حماقات المخبر ولو كان مخطئا، والصعوبات التي يواجهها الإثنولوجيون في التأقلم مع المجال المدروس من حيث تعلم اللغة، ومعرفة طباع الناس، وكيف عليه أن

[1] Paul RABINOW, Un ethnologue au Maroc. Réflexions sur une enquête..:
Symbolic Damination Cultural Form and Historical Change in Morroco, University of Chicago Press Chicago, 1975.

يستحضر أن للمخبر أفكار مسبقة، وحسابات خاصة، وميولات عاطفية، ومزاجية. ثم عليه أن يدرك أن قوة المخبر وحماسه غير كافيين للاشتغال مع الإثنولوجي ما لم يكونا مدعمين بالذكاء، والقدرة على التفسير، وأخذ المبادرة، والقدرة الاستثنائية على التواصل، والإيمان بأنه لا يجب على الإثنولوجي الاعتماد الكلي على إفادات المخبرين لأنها تلتبس بتأويلاتهم، ورؤاهم الخاصة، وطبيعة إدراكهم للواقع بكل أطيافه الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية ( الثقافة بالمفهوم الأنثروبولوجي)، وأن يستحضر خيبات الأمل عندما يبحث عن مخبر " مثقف" يفشل في استقطابه لتباين وجهات النظر والتمثلات الخاصة عن ثقافة الآخر. إلى غير ذلك من القضايا التي نجدها بين ثنايا هذا الكتاب الهام.

فكتابة موضوع للحديث عن موضوع ما، هو جعل معنى العلاقات الذاتية مكيفا مع البحث الميداني في العلوم الاجتماعية. وجعله مسهما في بناء المعرفة الأنتربولوجية التي تدفعها بعض الاتجاهات للسكتة القلبية عندما تسائل صلاحية عمليات البحث، و تقنيات جمع المعطيات المتحصلة منه وتأويلاتها. ويتساءل بيير بورديو لماذا يعمد أولئك الباحثون الشباب الحديثي التخرج من جامعاتهم إلى مساءلة معرفة أساتذتهم التي قادتهم إلى الحصول على نتائج، بل يفكرون بدقة في الأساليب والطرق التي استعملوها من أجل الوصول إلى ما وصلوا إليه؟ بعيدا عن عقلية الشيخ والمريد الغالبة على ثقافتنا ومن أجل الوصول إلى مبتغاهم كان يلزمهم وضع سلطتهم المعرفية القائمة على الاعتقاد الجماعي، أي الإيمان بقوة معتقد كل واحد، في الصرامة المنهجية التي سلكها كل منهم في عمله.

وهذا رهان جريء وصعب يأخذ بعين الاعتبار مركزية الرأسمال المعرفي المتحول في الأبحاث في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومطاردة المفاهيم. و يمكن لقارئ هذا العمل أن يستنبط عدة أسئلة منبثقة من الثقافة المغربية المحضة من قبيل : لماذا اختيار ميدان الدراسة من المغرب عموما، ومن صفرو خصوصا؟ فهل هذه المنطقة مثيرة فعلا إلى درجة أنه تعاقب على دراستها كل هؤلاء الباحثين الذين استأنسنا بذكر اسمائهم من مثل : كليمون هنري مور Clément Henri Moore، ووليليام زارتمان William Zartman، وكليفوررد گيرتز، Clifford Geertz، وجون واتيربوريJohn Waterbury وآخرين.

وسيجد قارئ هذا الكتاب خاصة من الطلبة مداخل لدراسة طرق القيام بالبحث الميداني، ويعاينون صعوباته، ومغامراته، وإكراهاته، من أجل تكوين موضوع ما في الأنتربولوجيا عموما، والأنتربولوجيا التأويلية خصوصا. كما يقول گيرتز " فهم نكتة ما، وفك لغز غموض ما، لا يعني الوصول إلى وجدان الجْماعة" .

# الفهرس

تمهيد..... 3

تقديم..... 9

مقدمة..... 13

الفصل الأول: بقايا استعمار آفل..... 19

الفصل الثاني : منتوجات مكيفة..... 29

الفصل الثالث: علي : غريب من الداخل..... 39

الفصل الرابع: أدخل..... 67

الفصل الخامس: معلومة محترمة..... 89

الفصل السادس: خرق..... 109

خاتمة : أخيرا..... 117

المؤلف

(Paul Rabinow :) (من مواليد 21 يونيو) 1944

أستاذ الأنثروبولوجيا في جامعة كاليفورنيا (بيركلي)

من مؤلفاته بالأنجليزية:

- *Symbolic Domination: Cultural Form and Historical Change in Morocco*, University of Chicago Press, 1975.
- avec W. Sullivan, *Interpretive Social Science: A Reader*, University of California Press, 1978.
- avec Hubert Dreyfus, *Michel Foucault, Beyond Structuralism and Hermeneutics*, University of Chicago Press, 1983 ; 2e édition (trad. française, allemande, espagnole, portugaise, chinoise, japonaise, russe).
- *The Foucault Reader*, Pantheon Books, 1984.
- avec W. Sullivan, *Interpretive Social Science: A Second Look*, University of California Press, 1987.
- *French Modern: Norms and Forms of the Social Environment*, MIT Press, 1989 ; rééd. University of Chicago Press, 1995 (trad. française, 2004).
- *Making PCR. A Story of Biotechnology*, University of Chicago Press, 1996. (traduction française, japonaise, chinoise, italienne).
- *Ethics, Subjectivity and Truth*, Vol. 1 of *The Essential Works of Michel Foucault 1954-1984*, Series editor and editor of Vol. 1. The New Press, 1997.

- *Essays in the Anthropology of Reason*, Princeton University Press, 1997 (trad. française, portugaise 1999, allemande 2004).
- *French DNA. Trouble in Purgatory*, University of Chicago Press, 1999 (trad. française, 2000).
- avec Nikolas Rose, *The Essential Foucault*, The New Press, 2003.
- *Anthropos Today: Reflections on Modern Equipment*, Princeton University Press, 2003 (trad. allemande, 2004).
- avec Talia Dan-Cohen, *A Machine to Make a Future: Biotech Chronicles*, 2d revised edition, Princeton University Press, 2004 ; 2006.
- *Marking Time: On the Anthropology of the Contemporary*, Princeton: Princeton University Press, 2007.


بالفرنسية:


- avec Hubert Dreyfus, *Michel Foucault : un parcours philosophique : au-delà de l'objectivité et de la subjectivité*, Gallimard, 1984 (éd. originale, 1983).
- *Le déchiffrage du génome : l'aventure française*, Odile Jacob, 2000 (éd. originale, 1999 ; trad. de Frédéric Keck).
- *Une France si moderne : naissance du social, 1800-1950 : essai*, Buchet-Chastel, 2006 (éd. originale, 1989).